موصولة تشتد وتتوضح ، وإذا هى خرير النهر ، دنا منك بعد نأى ، وواصلك بعد جفوة ، وتخطى إليك العقبات جميعاً ، وغدا إلى جانبك يحييك فى إقبال وتودد ، ثم لا يفتأ يساير قطارك الصغير ، وهو ضاحك متهال ، على شفتيه رغو فائر وثاب ! ...

وإن النهر ليصافيك وتصافيه ، ويألفك وتألفه ، حتى ليشغلك عن مشهد تلك الفنادق المعلقة غير بعيد من رءوس الجبال ، وربما حانت منك التفاتة حينئذ إلى « بحار الثلوج » المتحجرة بلونها الزمردى المتوهج ، تزهو بها تلك المناطق القطبية الرفيعة ، فما هى إلا أن تذكر صاحبك النهر ، فتدور بعينيك منقباً عنه ، وترهف سمعك له ، تتصيد بعض حديثه ، فيروعك أنه قد توارى عنك فى تلاوى الجبال بلا وداع ، وكأنما عز عليه أن تستهويك « بحار الثلوج » دونه ، وأن تصدك عنه ، فيأبى إلا أن يحرمك صحبته التى حمدتها له فى بعض الطريق .

ويتهادى بك القطار فى سكينة ، متسرباً بك من نفق إلى نفق ، وأنت فيما بين ذلك تطالعك ألوان شتى من الطبيعة الحية ، وترى القطار وقد أخذ يعبر بين جبلين على قنطرة ضخمة عالية ، طبقاتها مبنية بعضها فوق بعض ، ولا يكاد القطار يفرغ من عبور القنطرة حتى تلمح السلك الفضى قد التمع فى بطن الوادى ، يبعث إليك